

مركزات التوتاليتارية العراقية رؤية منه ارندت مدخلا

المدرس المساعد

قيس فاصر راهي

جامعة البصرة - مركز دراسات الخليج العربي

المقدمة

إن لفلسفة السياسة مهمتان تكاد تكون بينهما، وهي مهمة التبرير ومهمة التغيير، وحينما يُقال فلسفة سياسية لا يعني ذلك انها تفسير مجرد، فالفلسفة ليست تأملات من اجل التأمل، ومجردة عن الحوادث السياسية- انطلاقا من ان الفلسفة هي تفكير في كل ما هو مجرد-، بل هي تأخذ على عاتقها تحقيق مردود عملي، ذلك انها الجانب العملي من الفلسفة حسب التقسيم الارسطي، واذا أجريت عملية تأمل لتاريخ بعض الفلاسفة يُرى أنه حافلا بأنواع المجتمعات المثالية، والتي انطلقت من تأمل الواقع لتعود اليه مرة اخرى، وبدعوة صريحة او ضمنية للتغيير بغض النظر عن منهج التغيير وادواته، ومن الأسئلة التي تطرح ما الذي يدفع فيلسوفاً سياسياً معينا الى الحديث عن نظام الحكم الامثل ان لم يكن لديه موقفا من النظام الحاكم المعاصر له؟، اذ ان النقد والتغيير في الانظمة السياسية يكون نتيجة لفوت مطلوبات المواطنين وحقوقهم، وبمعنى ادق اخلال العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم .

وبما ان النوازع البشرية متغيرة، اذن ينبغي ادراك ان الانظمة السياسية قد تتغير بصورة تلقائية من خلال ممارسة بعض الحكام، ومن هنا كان الواقع هو نقطة البداية، لذا فإن طرح فكرة التوتاليتارية تعد مهمة وضرورية جداً، وذلك لأنها محاولة لفهم ما لم يفهم من النظم السياسية التي حكمت في مدة ما، فمنذ ان بدأت الفلسفة وسؤال الحكم وطبيعته من الموضوعات التي شغلت الفلاسفة، اذ كثرت التأويلات والتحليلات لأفضل انواع الحكم منذ افلاطون وارسطو، وحتى العصر الحالي الذي امتاز باحثوه بتواصل جهودهم الى اكتشاف الوصف المناسب للأنظمة السياسية الجديدة، اذ اختلف هؤلاء

عن سابقهم من الفلاسفة اللذين انشغلوا بالبحث بما ينبغي ان يكون، بينما هم قد اهتموا بتحليل ما هو كائن .

وانطلاقاً مما سبق، فثمة الحاح سؤال عن ما الذي حصل للعراق؟ وكيف حصل؟ ولماذا حصل؟ هذه هي الاسئلة التي تشغل الباحث الساعي الى توظيف الفلسفة في فهم النظام السياسي الذي حكم العراق ما قبل ٢٠٠٣، وخصوصاً النظام البعثي، فإن ما حصل كانت اجابته واضحة، وهناك دراسات عديدة انشغلت بذلك، اما لماذا حصل؟ فهذا سؤال يحتاج الى بعد تأويلي لأجل الإجابة عنه، اما كيف حصل؟ فسيسعى الباحث الاجابة عنه من خلال دراسة مرتکزات التوتالیتاریة العراقية وتوظيف لرؤیة حنه ارندت (Hannah Arendt)^(١)، التي تعد واحدة من ابرز من درس هذا النظام ان لم تكن ابرزهم، في كتابها وهو (اسس التوتالیتاریة) .

ان ما جرى في العراق- تجسيد القائد الفرد في الدولة ومؤسساتها- قد جرى في بلدان اخرى سبقته ك المانيا من خلال دور النازية، والاتحاد السوفيتي ودور الستالينية، وهذه النظم درستها (ارندت)، والمقاربة ربما تكون واضحة الا ان هدف هذا البحث ليست المقاربة، على الرغم من أنهم ينتمون الى عائلة طاغية واحدة، بل هدفه توظيف مرتکزات ارندت في فهم هذه النظم ومقاربتها مع العراق.

أولاً/ مفهوم التوتالیتاریة (Totalitarianism) وخصائصها:-

لقد اجتهد الفلاسفة في تحديد اشكالانظمة الحكم سواء تلك التي تخضع لإرادة الشعب (الديمقراطية)، او التي تنتمي الى عائلة الطغیان وافراد هذه العائلة كثيرون وهم (الدكتاتورية والاستبدادية والثیوقراطية)، وليست هذه النظم فحسب بل هناك شكل من الانظمة السياسية ينتمي الى عائلة الطغیان لم يناقش قديماً وانما بدا الاهتمام به في الفترة المعاصرة، وهذا النظام هو النظام التوتالیتاری، فلنتعرف به وبخصائصه .

أ- مفهوم التوتالیتاریة:-

منذ سقراط (Socrate)، وحتى دولوز (Gilles Deleuze)، والفلسفة تشتغل على انتاج المفاهيم وتحديداتها، وليس الهدف انتاج المفهوم لذاته، بل من أجل ان يكون مدخلًا لفهم العلوم ومفتاحاً لها، ومفهوم التوتالیتاریة يعد واحداً من هذه المفاهيم الذي

وضع لفهم طبيعة نظم الحكم السياسية، واستعمالها سبهم بفهم نظم لم تنطبق دلالات تلك المفاهيم السابقة على تفسيرها.

ولعل من جملة المشكلات التي تواجه الباحث في التعامل مع مفهوم الـ (Totalitarianism)، ترجمته الى العربية، فالبعض يترجمه بالكليانية، والبعض الآخر يترجمه بالشمولية، وهناك من اتفق على الاكتفاء بتعريبه، وتبرير ذلك يتبين من قول احد الباحثين: ((لقد كان ادخال مفهوم (الديمقراطية) اليونانية الاصل الى اللغة العربية مبرراً ومفيداً، وسيكون ادخال مفهوم (توتالية) اللاتينية الاصل الى اللغة العربية مفيداً ايضاً، وفي اعتمادنا هذا الاصطلاح لا نبتعد عن الاصل اللاتيني في مفهوم Totus التي هي اساس مفاهيم عديدة تحمل هذا المعنى نفسه في لغات اوربية مختلفة مثل Total بالانكليزية والالمانية Totale، اما في العربية فان مفهوم توتاليتارية يستعمل كصفة تطلق على أنظمة حكم معينة واحياناً على فلسفة سياسية محددة))^(٢).

والتوتاليتارية ((نظام سياسي لدولة ما تتميز بالهيمنة الكلية على النشاطات الفردية من خلال تبنيتها لايديولوجيا معينة))^(٣)، ويطلق هذا المفهوم للتعبير عن مذهب السلطة الجامعة التي تعمل على اذابة جميع الافراد والمؤسسات والجماعات في الكل الاجتماعي (الشعب، المجتمع، الدولة، الامة) عن طريق العنف والارهاب ويمثل هذا الكل قائد واحد يجمع في يديه كل السلطات ولهذا يلقبونه بالزعيم ويطيعونه طاعة مطلقة^(٤)، فالقائد في النظام التوتاليتاري لا يسيطر على النخبة وعلى الحزب واجهزته وعلى الدولة ومؤسساتها وحسب، انما يسيطر ايضاً على المجتمع بكليته، واهم ما في هذه السيطرة التوتاليتارية، فلسفياً وعملياً، إنها تلغي مبدأ حكم القانون وسيادته لتضع محلها ارادة القائد^(٥).

وقد دخل مصطلح التوتاليتارية في دائرة الجدل السياسي في عام ١٩٢٠، وخصوصاً للإشارة الى الفاشية الايطالية، ومن ثم انتقلت في اواخر العقد الرابع من القرن العشرين الى النقاش الاكاديمي مع التركيز على دراسة النظام النازي، وتعد اوربا ابرز من مثلها، وازداد البحث حول هذا النظام - التوتاليتاري - اثناء الحرب الباردة والهدف من ذلك هو فضح الاتحاد السوفيتي وتوتاليتاريته المتمثلة بالستالينية، والمعبرة عن الشر المطلق

حسب رؤية منتقديها، مقابل المعسكر الغربي الذي يتمتع بالديمقراطية الليبرالية سواء كوسيلة للحياة او كشكل من اشكال الحكم^(٦).

ويبدو ان النقاش الاكاديمي هو الذي اضفى على التوتاليتارية كمصطلح سياسيالذقة والتحديد من حيث التنظير والممارسة. ولم يقتصر استعمال هذا المفهوم على دعائها بل حتى من قبل اعدائها على حد سواء، ثم اصبحت كلمة توتاليتارية تستعمل بعد الحرب العالمية الثانية بوصفها سلاح دعائي تهجمي في الحرب الباردة التي كانت رحاها دائرة بين الايديولوجيات المتصارعة، فأعداء الشيوعية نعتوا انظمتها بالتوتاليتارية، حتى كادت لغة المهاترة السياسية هذه ان تجرد مفهوم التوتاليتارية من أي محتوى واضح او معنى محدد^(٧).

لكن قد يعود السبب الرئيس لشيوع استعمال مفهوم التوتاليتارية وتداوله هو ظهور احزاب وانظمة حكم تسلطية تتميز وتختلف عن كل ما سبقها من انظمة حكم امتازت بشتى انواع الاستبداد والتسلط، من هنا كانت الحاجة الى تصنيف جديد لتلك الانظمة وسمياتها^(٨).

وبناء على ما سبق ذكرهيتين أن التوتاليتارية كمصطلح فلسفي او علمي له فائدتين على الاقل:-

الاولى/ هي ان هذا المصطلح يمكننا من تصنيف انظمة حكم برزت خلال حقبة ما بين الحربين العالميتين، كالفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا لا تنطبق عليها انطباقا تاما اي من التصانيف او المصطلحات السياسية لأنظمة الحكم المعروفة سابقا .

الثانية/ والى جانب الفائدة الاولى هناك فائدة فلسفية في استبقاء مصطلح التوتاليتارية ذلك ان استبقاؤه يضع في متناول اليداغوجيا للتحليل والتصنيف يسعف الباحث لوصف الخيارات السياسية والايديولوجية وتقويمها، فيصبح منالميسور أخذ نظما وجدت بالفعل او نفترض امكان وجودها ليتسنى فهمها، وربما الحكم عليها بنسبة قربها او بعدها عن النمط التوتاليتاري^(٩).

ب- خصائص التوتاليتارية:-

من البديهي انه لن يكون لمصطلح التوتاليتارية قيمة علمية ذو شأن اذا صح اعتباره مجرد تسمية جديدة لمفهوم قديم، اذ انه فرد مستقل في عائلة قديمة لكنها غير

كريمة تمثل بتنوع انظمتها صور الطغيان السياسي، لذا سنحاول في عرضنا للنمط التوتاليتاري في الحكم ابراز خصائص التوتاليتارية التي تميزها عن مختلف نماذج الطغيان الاخرى بانها صورة جديدة لصور ذلك الطغيان، ولعل ابرز خصائصها تتمثل بما يأتي:-

١- تشكل الحركات التوتاليتارية من تنظيمات جماهيرية تظم اليها افرادا مبعثرين ومعزولين، اما الميزة الاظهر والتي تميزها عن كل الأحزاب والحركات الاخرى فتكمن في اقتضاء الولاء اللامحدود وغير المشروط وغير المبتذل من قبل المناضل الفرد ازاء حركته^(١٠)، ويسمح وصول الحركات التوتاليتارية الى الحكم بظهور نظام لا يمكن مقارنته بأي من الانظمة المعروفة الاستبدادية الطغيانة الديكتاتورية، او كالتى وضعها الفلاسفة منذ افلاطون (Platon) الى كانط (Kant)^(١١)، وما يلاحظ على الحركات التوتاليتارية انها تركز على الجماهير وكسب الاعداد الهائلة التي تحوي النخبة والرعاع.

٢- ان في البلدان التوتاليتارية يتلازم الارهاب والحملة الدعائية حتى ليكونا وجهين لعملة واحدة، غير ان في ذلك جزءا من الحقيقة ليس الا، فإذا حلت التوتاليتارية وبسطت رقابتها المطلقة ابدلت الدعاية بالتلقين العقائدي، وشرعت في استخدام العنف لتحقيق عقائدها الايديولوجية واثبات مزاعمها اكثر من اخافة الناس^(١٢). وان احد الاختلافات الالهة بين الحركة التوتاليتارية والدولة التوتاليتارية هي ان الطاغية التوتاليتاري ينبغي له ان يمارس فن الخداع التوتاليتاري بطريقة اكثر انسجاما وعلى مدى اوسع مما يتسنى لقائد الحركة^(١٣).

٣- تتمثل التوتاليتارية في الدولة الاستبدادية التي لا تسمح لأي جمعية او مؤسسة مستقلة بالعمل خارج سلطاتها ولا تسمح كذلك بحرية تكوين المؤسسات والجمعيات وهي تتميز عن الحكم المطلق والاستبداد بأنها ظاهرة القرن العشرين^(١٤).

٤- تلغي الدولة التوتاليتارية استقلالية اي ميدان من ميادين المجتمع وقيمه: الدين، الاخلاق، الفن، الاسرة.... الخ، فكل شيء يجب ان يخضع لضبط الدولة وتنظيمها، وفي هذا المذهب لا مكان للفرد خارج تنظيم الدولة، والانسان لا يوجد

الا كتابع للآلة الاجتماعية القائمة^(١٥)، وانها بصفة اكثر دقة مناهضة للحرية وضد الطبيعة البشرية، وذلك واضح من خلال معسكرات الاعتقال التي فيها كل شيء ممكن ومباح للجلاد، التي هي محاولة لإبعاد صفة الادمية عن الرجال وحرمانهم من كل الحقوق والتي تعبر عن الخطوات الاولى لتحقيق ذلك^(١٦)، ولعل من اهم سمات النظام التوتاليتاري هو تظافر الجهود لحرمان الضحايا من اي مظهر من مظاهر الهوية، سواء اكان مدنيا ام نفسيا^(١٧)، وتسخر كل وسائل التربية والتعليم واجهزة الدعاية لترسيخ هذه الافكار ويجند الشباب منذ الصغر وتملاً اذهانهم بها، وتقوم الرقابة البوليسية بسحق كل من يعارض او يخالف، أما الجيش فيهيأ لفرض سيطرة الدولة التوتاليتارية على البلدان الاخرى^(١٨).

٥- لعل ابرز ما يميز التوتاليتارية عن مختلف نماذج الطغيان توسلها الظاهر الديمقراطي لتسويغ سلطتها واعطاء نظام حكمها طابع الشرعية، فالأوتوقراطيون التقليديون فرضوا سلطتهم ولم يسعوا في غالبيتهم لتبرير انفسهم والقلّة التي سعت لم تتوسل المظهر الديمقراطي ولم تدع ان اساس شرعيتها هو ارادة جماهير الشعب، اما التوتاليتارية فبدت وكأنها ملتزمة بالمبدأ القائل ان الاساس الوحيد المقبول لشرعية الحكم هو قبول المحكوم بالحكم وموافقة عليه وهذا الالتزام الظاهري لم يعن عمليا ان التوتاليتارية تخلت عن جوهرها الاوتوقراطي، فالترجمة الفعلية لمفهوم الديمقراطية التوتاليتارية هي ان ارادة القائد التوتاليتاري هي ارادة الشعب لهذا لجأوا الى اسلوب الاستفتاء العام والتصويت التهليلي، وبهذه الطريقة تم اخراج القائد الساحر من القبعة الاوتوقراطية اربنا اسماء الديمقراطية التوتاليتارية^(١٩).

٦- والخاصية الاساسية للتوتاليتارية تتجسد في اقامة دينامية دوام وتخليد النظام، مما يعني ان الدولة التوتاليتارية لا يمكن ان تكون عرضة للإصلاح بل للدمار^(٢٠). ومن خلال دراسة ارندت فإنه يمكن تحديد خمس خصائص للتوتاليتارية تتمثل فيما يأتي^(٢١):-

- ١- الحكم الفردي للقائد .
- ٢- الهيمنة على النظام القانوني .
- ٣- الهيمنة على القيم الاخلاقية .

٤- الحراك المستمر .

٥- الشرعية القائمة على دعم الجماهير .

ج- الفرق بين نماذج الطغيان الاخر والتوتاليتارية :-

على الرغم من ان التوتاليتارية تنتمي الى عائلة الطغيان الا ان هناك فروقا بينها وبين افرادها تتمثل بما يأتي:-

١- فهناك فرق بين النظامين الدكتاتوري والتوتاليتاري، اذ الاول نظام سياسي ذو تعددية سياسية محددة ولكنها غير مسؤولة اي ليست ذات ايدولوجية مفصلة وارشادية ولكنها ذات عقليات مميزة وليس فيها حراك سياسي مكثف او واسع الا عند مراحل معينة في تطورها وذات قائد او مجموعة مصغرة احيانا تمارس السلطة ضمن حدود غير واضحة رسميا ولكنها قابلة للتنبؤ، وقد يرى البعض أن تلك العناصر كانت موجودة في العراق على الاقل حتى عام ١٩٦٨ والانقلاب البعثي الثاني^(٢٢).

٢ - وللتفريق بينها وبين النظام الشيوعي الذي يؤكد على سلطة رجال الدين فإن الخلاف يبقى كبيرا ولحد ما جوهريا، وذلك لأن الاديان ومعتقداتها يؤمنون بما يفعلون بوصفهم جزء من ارادة الالهة باقية في نصوص مقدسة (التوراة، الانجيل، القرآن)، بينما التوتاليتارية تضع ارادة الحزب والقائد فوق كل اعتبار مما يفرغها من فكرة القانون والشرعية والنوازع الاخلاقية كما ان الفكرة الدينية تتمتع بالقدرة على البقاء بينما النظرية التوتاليتارية جزئية عابرة^(٢٣).

٣- وكذلك ان الفارق الحاسم بين الهيمنة التوتاليتارية واشكال الطغيان الاخرى القائمة على العنف يكمن في ان الاولى لا تقف فقط ضد اعدائها بل كذلك ضد اصدقاءها ومناصريها اذ تعمل على رعب كل من تحت سلطتها بما في ذلك سلطة اصدقاءها انفسهم والحال ان ذروة الارهاب تكون حين تبدأ الدولة البوليسية بالتهام ابنائها، فيصبح جلاد الامس ضحية اليوم^(٢٤).

ثانيا/ دراسة التوتاليتارية :-

ولد الفكر الغربي المعاصر بعد الحرب العالمية الاولى في اجواء متأزمة يشوبها شعور مرير بالغبن ورغبة عارمة في تكثيف الجهود وتوحيدها لتصحيح الامور وازالة الحيف

كي تسترجع الامة كرامتها وتفرض ارادتها على كل ما عداها، اذ لم تكن اي حركة اصلاح محددة لتفي بالغرض، فالرغبة في اصلاح جميع المؤسسات واعادة بناء المجتمع بأكمله قد ولد الشعور بأهمية الاصلاح الجذري الذي تمثل بضرورة سيطرة الحاكم القائد والمنقذ والمصلح على المجتمع ومقدراته سيطرة تامة وولد استعدادا لدعم سلطة مركزية قوية تعيد بناء المجتمع وتوحده^(٢٥)، والادبيات التي درست النزعة التوتاليتارية والتي صاغها الفكر الغربي المعاصر خلال السنوات الاولى للحرب الباردة تم تكييفها لشروط اوربا الشرقية فأدت دورا مهما في اعادة اكتشاف المجتمع المدني، فقد استخدم البعض مقولات الدستورية والتعددية لتحليل النظم الاجتماعية التي ظلوا يسمونها توتاليتارية على الرغم من أن تطور المجتمعات الاشتراكية الاكثر افصاحا كان قد شجع بعض المحللين الغربيين على نبذ مفهوم التوتاليتارية تماما^(٢٦)، وقد يعود سبب ذلك الى انها عرضة للتغيير في اية لحظه وهذا ما يجعلها غير مستقرة لتكون تحت طائلة الادانة والطعن فضلا عن التناقض الذي تحويه فمطالبها الأيديولوجية غير واقعية لأنها لا تناسب احتياجات الانسان فهي تجرده من اي معنى^(٢٧).

أ- حنه ارندت والتوتاليتارية

يعد كتاب اسس التوتاليتارية المنشور عام ١٩٥١ من اهم كتب ارندت الذي جعلها مشهورة، وثبت لها سمعتها كباحثة ومفكرة، وهو مستوحى بصورة جلية من الاحداث التي مارستها النازية في المانيا، والثالث الاخير فقط من الطبعة الاولى يحلل بشكل مباشر نهوض النازية والستالينية اما الثلثان الاولان من الكتاب فيلخصان ما تراه ارندت على انه السوابق التاريخية للصفة التوتاليتارية للسلوك السياسي وخصوصا انها تنطبق على الشعب اليهودي باعتباره فئة تاريخية منبوذة^(٢٨)، وفي الطبعة الاخيرة قد اضافت ارندت فصلا رابعا عنون به (الارهاب والايديولوجيا).

لاقى كتاب اسس التوتاليتارية مواقف متباينة من الباحثين لا يسع البحث لتقصيها، لكن بعضها تضمن نقودا حول المنهجية، والبعض الاخر حول سياق الكتاب، وعلى الرغم من تلك النقود الا ان الكتاب يبقى يتمتع بفردته في تحليل نظم سياسية لم تنطبق عليها نماذج الطغيان الاخرى، ويشهد لها بتمكنها وتميزها في البحث بالمجال السياسي، فعندما نشرتها اتخذ الكتاب والباحثين منه مواقف مختلفة، فهناك من قال ان

الكتاب لا ينتمي الى نوع من الدراسات الاكاديمية التخصصية ويشير احد الباحثين الى ان (ارندت) حاولت توظيف سرد تاريخي وقصصي ورواية من منظور العلوم الاجتماعية، وانها تمتلك الطموح والمنهجية والحيوية والذوق والاسلوبية للعمل في الصحافة السياسية وبعض الشيء من الفلسفة لتكون عوناً لها في دراستها، وانها تتمتع بمنهج غير عادي لكنها فشلت في جعل دراستها واضحة، ويرد على ذلك باحثاً آخر مشيراً الى ان الكتابة عن التوتاليتارية معضلة لأنها من جوهر التاريخ وذلك بوصفها مساهمة في حفظ الاحداث من النسيان، وكانت مشكلتها كيفية كتابة تاريخ عن التوتاليتارية ومحاولة تفكيكها وتدميرها^(٢٩).

ولكن من الصعوبات التي قدمتها اي- ارندت- في اسس التوتاليتارية تذهب اعمق بكثير من الاشكالات التي طرحت، فالقضية ليست في استعمال ارندت للمنهج، وتعاملها مع الموضوع الذي هو في حد ذاته لا التباس فيه بل ان هناك مشاكل في استيعاب ماهو في الواقع الذي يحتويه الكتاب، وكذلك يشير كارل ياسبرز (Karl Gaspers) الى ان كتابها حول موضوع التوتاليتارية تضمن ثلاثة كتب وليس كتاباً واحداً اذ ان كل فصل يعبر عن كتاب^(٣٠).

والملاحظ ان ارندت اشارت بإصرار وتكرار على ان التوتاليتارية هي جديدة ورهيبة ولم يسبق لها مثيل، وانها ليست فقط شكل جديد من اشكال الطغيان فما هو خاص ليس مجرد قسوتها التي فرضتها وحتمت المعاناة على الانسان ولا هو عدد ضحاياها بل انها تنظر اليها على انها قضية من الغلو ويكون فيها كل شيء ممكن ولا وجود لدور الفكر فيها^(٣١)، وهي تحاول مواجهة هذه الصعوبة الهائلة بشكل مباشر فتبدأ بتحليل النظام التوتاليتاري بصورة منهجية، اذ ان النظام التوتاليتاري ليس مساوياً لنظام الحكم الفردي المطلق اذ يحاول الحاكم اجبار الجماعة او المجتمع على الانصياع لصورته هو في تلك الحالة يكون الحاكم المطلق هو الذي يجعل من كل فرد اخر عدواً حقيقياً فعلياً او محتملاً، اما النظام التوتاليتاري فليس له اعداء بل ضحايا اناس ابرياء كلياً^(٣٢)، وتركز في دراستها على سعي النظام التوتاليتاري على تدمير الانسان ومعنوياته وقتلها للهويات الفرعية التي تتدخل الدولة التوتاليتارية بإلغائها وهيمنتها على الكل، وهي بذلك ليست الا تدميراً للطبيعة البشرية التي تقوم على التعددية^(٣٣).

وهنا تبدو الصلة واضحة عند ارندت بين التوتاليتارية والارهاب من حيث المجتمعات التوتاليتارية التي يكون فيها الارهاب مسيطر عليها بصورة اجمالية وهنا الدولة تكون مصدرا للإرهاب^(٣٤)، والنظام التوتاليتاري يرتكب الارهاب ضد سكان مقهورين تماما ولكنه اكثر من اي شيء اخر يقتل الشخص المعنوي الاخلاقي والنفسي بحيث يصبح الموت مجهول الهوية^(٣٥)، وفي دراستها لمسكرات الاعتقال في ظل التوتاليتارية تصفها بأنها مصانع للموت اصبحت فيها البشر كالماشية^(٣٦). ويبدو الارهاب في هذا النظام ارهابا مقنعا حين تكون الدولة هي المصدر الممول للإرهاب والمنظم له .

وتخلص من دراستها الى ان النظام التوتاليتاري مختلفا عن الطغيان وانواعه اما اجراء التمييز ما بين هذا النظام التوتاليتاري وبقية الانظمة فأمر لا تقوى على تقصيه- الا ان الباحث قد تقصى هذه الفروقات في صفحات سابقة-، وما يهمنا ان التوتاليتارية هي شكل النظام الوحيد والذي يصير معه اي تعايش محالا^(٣٧) .

ب- الفلسفة والتوتاليتارية:-

لا يستطيع احد ان ينكر ان التصورات الفكرية مهما كانت مجردة الا ان معناها و دلالاتها تتأسس على التطبيق العملي (الممارسة) فالتفكير النظري لا يعدو عن كونه نشاطا ينبع من الذهن الانساني ولا يمكن تقييمه بعيدا عن التطبيق العملي والسياسة جزء لا يتجزأ من الفلسفة في قسمها العملي، اذن الفلسفة والسياسة لم ينفكا عن التفاعل والارتباط وهذا ما قد نشهده من بعض اسماء مؤلفات بعض الفلاسفة .

ولكن لا يمكن العثور على منظومة فلسفية بالمعنى الدقيق اسست للمشروع التوتاليتاري، بل الذي اسسها منظومة التوليف الخربة للعناصر المتناثرة في المنظومات الايديولوجية من قيم نفسية واوهام سياسية وخيال شعبي محكوم بأزمات القادة والجماهير في مراحل الانعطاف العاصفة للثقافة والدولة والامة اي في مراحل المصير القومي المتأزم^(٣٨). الا انه توجد بعض القراءات لفلسفات محددة اشارت فيها سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة الى تمثل التوتاليتارية بهذه الفلسفات. اذ يعتقد كارل بوبر (Popper Karl) في كتابه (المجتمع الفتوح واعدائه) الصادر عام ١٩٤٥ اي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ان الجذور الفكرية للتوتاليتارية يمكننا ان نجدها في فلسفة افلاطون السياسية فهو اول من قال بها^(٣٩)، فنظريته في العدالة التي قدمها في الجمهورية

وكتابات اللاحقة ما هي الا محاولة واعية للحصول على افضل التكافؤ والاستقلالية الفردية من خلال تطوير نظرية الاخلاق التوتاليتارية، حيث اعتقد انه ينبغي ان تكون للتوتاليتارية سيادة ودور من خلال دور الدولة اذ أن العدالة هي ما يقيد الدولة ويستجيب لمصالحها^(٤٠). وقد اشار بوبر في كتابه الانف الذكر في الفصل السادس الى ان افلاطون كان يقصد شيء مختلف عما تتصوره مفهوم العدالة فبحثه فيها اي- العدالة- اضفى على برنامجه السياسي طابعا توتاليتاريا ذلك ان برنامجه الفلسفي متفق معها، الا ان راي كهذا قد يؤدي الى نتائج غير مرضية لان بعض الباحثين يعتقد ان فلسفة افلاطون قائمة على اساس انساني مقبول^(٤١)، فالمجتمع الذي يقدمه افلاطون مجتمعا تسلسليا، وموحدا بأن واحد، وفي الحقيقة ان هذا المقتضى المزدوج هو الذي يفسر كل البناء الافلاطوني، اذ كان هاجسه وكل معاصريه، هو الانقسام الحاصل في المجموعة المتناسكة المتكونة من الحاضرات: اغنياء في مواجهة ابناء العائلات الكبرى، الذين يشكلون قلة حاكمة، فقراء ضد اغنياء، وانصبت جهوده، في الاساس على تحقيق حاضرة موحدة سياسيا وادبيا، واليوم نقول ان مفاهيمه توتاليتارية^(٤٢)، وتبدو صورة الدولة لديه، ارسقراطية، محكومة بقسوة، ومنظمة تنظيمًا عسكريًا يشبه تماما سبارطة، التي اصبحت عمليًا وفلسفيًا دولة شمولية^(٤٣).

وبناء على ما تقدم يمكن القول ان فلسفة افلاطون بل كافة الفلسفات والاديان الكبرى تحتوي بالضرورة على ما يمكنه ان يمد التوتاليتارية بأفكار معينة، كما تساعدنا بصورة عرضية على شحذ وعيها الخطابي وهمومها الوجدانية، وذلك لأن التوتاليتارية رؤية نفسية ذهنية جمعية ونظام شامل^(٤٤)، لكن هذا لا يعني ان فلسفة افلاطون او الاديان هي مؤيدة للتوتاليتارية، بل انه تم توظيف فلسفات او افكار دينية محددة من نظام سياسي لإضفاء الطابع الفلسفي والديني عليه .

ولكي تحكم التوتاليتارية سيطرتها تحتكر كل ما يعد وسيلة اتصال بالمجتمع ومنها وسائل الاتصال الجماهيرية بل وحتى الاقتصادية ولذلك ((يعتقد بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع ان هناك علاقة بين التوتاليتارية وبين التقدم الصناعي وبخاصة التقدم التقني- الاداري، اذ ان توجه الادارة من تحسين الوضع الشخصي والاسري الى ادارة موجهة نحو تنظيم الدولة الاحتكارية وما يتطلبه هذا من تنظيم متزايد للتوجهات

التفصيلية للنظام الاداري التقني يؤدي الى نمو هائل ومتعظم لحجم الجهاز الاداري وزيادة تخصصه من جهة والى دفع الجماهير للمشاركة السلبية الاستهلاكية في الادارة من جهة اخرى (عبر اليات الطلب الاستهلاكي) كما يؤدي الى التمايز المعقد لمؤسسات السلطة والضبط والتغيير السريع لانساق القيم الاخلاقية والتشريعية من جهة ثالثة، ويرافق ذلك ان الية نقل الثقافة تصبح مؤسسية وبعيدة عن الشخصية الفردية الى الحد الاقصى مثلها مثل اليات الضبط الاجتماعي فتتطور منظومات ومؤسسات الاتصال الجماهيري وما يلائمها من جمهرة التنظيم والثقافة وغيرها من اشكال النشاط الاجتماعي ان هذه التغيرات الناشئة عن الانتقال الى الطابع الاحتكاري للدولة تخلق في حالات معينة الشروط المناسبة لظهور الادارة التوتاليتارية التي تلغي استقلالية اية ميادين او مستويات او ادوات في ادارة المجتمع^(٤٥).

ولعل مدرسة فرنكفورت هي التي عمقت اكثر من غيرها النقد الفلسفي للتوتاليتارية فماكس هوكهايمر (HorkheimerMax) مؤسس المدرسة عام ١٩٢٣ يرى ان التوتاليتارية تتطابق مع انتصار الاساطير على العقل وينتقد العقل المعاصر الذي صار توتاليتاريا، وان العقل ينحل الى عقل للدولة او عقل علمي وقد انتقد هوكهايمر الثقافة الجماهيرية وما يرافقها من اشكال متعددة للوعي الكاذب ولاحظ علامات عديدة لتقهقر المجتمع الصناعي المعاصر واتجاهه نحو الادارة التوتاليتارية التي يميزها عن التوتاليتارية اي تلك التي تطبق بواسطة الارهاب، وما يرافق ذلك من اختفاء للمبادرة الحرة^(٤٦)، اما تيودور ادورنو (AdornoTheodor) فانه يعلن عن التشاؤم الذي ينتج عن تغلغل التوتاليتاريا في بنى السلطة، لذلك فهو يدين السلطة التوتاليتارية حيث يعود الى الحكم الفلسفي متبني النظرة الانتقادية حين بحث في كل فكرة عن نفيها وابتعد عن الفعل الذي يخشى منه ان يؤدي الى توتاليتارية^(٤٧).

واذا كان هناك من الفلاسفة من ربط بين التقدم التقني الاداري و التوتاليتارية فهناك من ربط بين التكنولوجيا والتوتاليتارية ايضا، فالتكنولوجيا المعاصرة تضفي عقلانية على ما يعانيه الانسان من نقص في الحرية وتقيمالبرهان على انه يستحيل تقنيا ان يكون الانسان سيد نفسه وان يختار اسلوب حياته بالفعل ان نقص الحرية لا يطرح نفسه اليوم على انه واقعة لا عقلانية او واقعة ذات صبغة سياسية وانما يعبر بالأحرى عن واقع

ان الانسان بات خاضعا لجهاز تقني يزيد من رغد الحياة ورفاهيتها كما يزيد من انتاجية العمل ان العقلانية التكنولوجية لا تضع شرعية السيطرة موضع اتهام وانما هي بالأحرى تحميها والافق الاداتيالبرجماتي النزعة للعقل يقود الى مجتمع توتاليتاري مستبد، وقد اصطبغ بصبغة عقلانية ان العقلنة في هذا المجال التقني، والاداتي لن تفهم حقيقتها حسب هابرماس الا في المعنى الفرويدي، اي عقلنة الكبت والسيطرة عليه^(٤٨)، ويرى يورغن هابرماس (GurgenHabermas) ان العلم والتقنية هما اللذان يؤديان اليوم وظيفة اضفاء الشرعية على الهيمنة وان الهيمنة السياسية تتعزز وتحل محل البحث عن الغايات القيادية التقنية والادارية وحدها^(٤٩)

ويبدو مما تقدم ان هذه المدرسة تسعى لابعاد التهمة عن الثقافة الالمانية بوصفها ثقافة منتجة للتوتاليتارية وهنا تشترك ارندت مع مدرسة فرنكفورت التي تنص على ان التوتاليتارية هي نتيجة لجدلية التنوير التي تولدت داخل العقلانية الرأسمالية الغربية نفسها^(٥٠)، لكنها في نفس الوقت تقف بين اتجاهين الاول اتجاه فرنكفورت والثاني الذي يضع اللوم على النازية التي رفضت التنوير والديمقراطية وانها اعتقدت بأن التوتاليتارية تعبر عن انهيار الانسانية والحضارة المستنيرة^(٥١)، لكن في النهاية يبدو ان التوتاليتارية غير قادرة على تمثيل الفكر الفلسفي الكبير انها تقدر وتعمل فقط على تطويع القيم الايديولوجية^(٥٢).

ثالثا/ التوتاليتارية العراقية ومرتكراتها :-

يُعتبر النظام في العراق في نظر العديد من المراقبين مرادفا للديكتاتورية، فقد ارتبط العراق بحق ارتباطا قويا بالأساليب السلطوية والتوتاليتارية في الحكم حتى ان بعض المعلقين اعتبر ان هناك خاصية متأصلة في المجتمع العراقي تحتم ان تحكمه رجل قوي على رأس دولة طاغية الانتشار والسيطرة في جميع ارجاء البلاد ومختلف اوجه الحياة فيها، وتأيدا لهذا الرأي كثيرا ما يستعان بأمثلة من التاريخين القديم والحديث للعراق بما تشمله من قادة متسلطين وشعوب تبدو عدوانية للبرهنة على ان ما يشهده العراق الحديث ليس بمستغرب عندما يوضع ضمن السياق الاوسع لتاريخ بلاد ما بين النهرين، ويشار الى العديد من الوقائع مثل القيود التي فرضها حمورابي على المجتمع البابلي

والمهارات العسكرية التي تمتع بها الاشوريون والوحشية التي اتسم بها المغول للبرهنة على ان مظاهر السلطوية في العراق انما هي القاعدة وليست الاستثناء^(٥٣).
ان خصوصية التوتاليتارية في العراق تقوم في انها كانت مجرد استكمال لاستحكام الدكتاتورية الصدامية وليس العكس، فتاريخ التوتاليتاريات (الكلاسيكية) يكشف عن انها تؤدي بالضرورة الى الدكتاتورية اما في العراق فقد جرى العكس اي ان الدكتاتورية هي التي ادت الى التوتاليتارية من هنا طابعها المشوه والمدمر بالنسبة للنظام السياسي والدولة والقومية^(٥٤).

وفي مسألة تحديد بداية النظام التوتاليتاري في العراق فهناك رأي يقول ((ان انقلاب الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ هو بداية الزمن التوتاليتاري في العراق ومن ثم انعدام التاريخ الفعلي للدولة والمجتمع الامر الذي يستلزم اعادة النظر بالتجربة المبررة لهذا الانقلاب التعيس في تاريخ العراق الحديث))^(٥٥)، بل ((ان نقد المرحلة التوتاليتارية في العراق ينبغي ان تبدأ من نقد انقلاب الرابع عشر من تموز الذي مازال يخيم بأوهامه على صدا الذكرة والفكر السياسي ومن ثم يمنعهما من التفكير بمعايير المستقبل))^(٥٦). وفي رأي اخر يشير احد الباحثين انه اعتبارا من السبعينيات في القرن العشرين بدأ تحول العراق من السلطوية الى التوتاليتارية^(٥٧)، ويبدو ان الرأي الاخير اكثر دقة وذلك لتطابقه مع خصائص التوتاليتارية ومركزاتها اما عام ١٩٥٨ فيمكن ان يعتبر انموذج للدكتاتورية وليس للتوتاليتارية .

ويحدد احد الباحثين من خلال دراسته لـ ارندت ثلاثة مركزات تعتمد عليها الدولة التوتاليتارية، وتنطبق جميعها على العراق في عهد صدام من اواخر السبعينات حتى اواخر حكمه، كما سيلاحظ لاحقا. فمن السهل نسبيا تطبيق خصائص التوتاليتارية الخمس على العراق في ظل حكم صدام كما تنطبق المركزات الثلاث على نحو اكثر جذبا للانتباه وفي رأيه ان المركزات الثلاث التي تستند اليها مثل تلك الانظمة تتمثل فيما يلي^(٥٨):-

١-القائد

٢-الحزب

٣-الايدولوجيا

وكذلك يمكن اضافة مرتكزين لمركزات التوتاليتارية العراقية من خلال دراسة ارندت لم يشير اليهما الباحثين في دراستهم ل ارندت الا وهما (الامن) و(العامل الاقتصادي) او (الدولة الريعية) والمركز الاخير لم تشر اليه حتى ارندت لكن من المناسب ذكره نتيجة لتوظيف البحث للاقتصاد الريعي في تثبيت حكومتهم طيلة حكم صدام .

١- القائد

تقول ارندت: ((أن مبدأ القائد المزعوم ليس توتاليتاريا في ذاته بل أنه استعار من الاستبدادية ومن الدكتاتورية العسكرية بعض السمات التي ساهمت الى حد كبير في تعميم الظاهرة التوتاليتارية الاساسية والتقليل من قدرها))^(٥٩). كما تقول في موضع اخر: ((ان هذا المبدأ (القائد) لا يتيح بناء تراتبية في الدولة التوتاليتارية، دون بنائها في الحركة ذلك ان سلطة الجسم السياسي ليست راشحة بسلسلة من المستويات الوسيطة كما هي الحال في الانظمة الاستبدادية اما العلة الحققة في ذلك فهي انه لا تراتبية دون سلطة ومبدأ السلطة رغم اساءات الفهم العديدة حول الشخصية المتسلطة يظل الضرورة متعارضا بصورة تقابليه مع مبدأ التسلط التوتاليتاري))^(٦٠). واذا طبقنا هذا المركز على صورة القائد في اواخر السبعينات في القرن العشرين، نجد ان الواقع كان يمتضي بخطى متسارعة نحو ان يصبح دولة توتاليتارية، وبما يتطابق بدقة مع التعريفات المذكورة في بداية البحث فقد ترسخت عقيدة عبادة القائد في العراق واصبح صدام بوضوح هو الشخصية الاهم في النظام بعد أن خلف في عام ١٩٧٩ احمد حسن البكر الذي حمل على التقاعد^(٦١)، حتى اصبح عبادة صدام في منتصف السبعينات مطلقة لدى البعثيين^(٦٢).

وبالرغم من ان ذلك هو سمة الانظمة في الشرق الاوسط ومغزاها واضحا من صور الزعماء، ولكن ليس كذلك الانتشار او التنوع كما في عراق البعث، فصدام حسين هو رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس مجلس قيادة الثورة وامين عام القيادة القطرية لحزب البعث ورئيس مجلس التخطيط الاعلى ورئيس لجنة الاتفاقات ورئيس المجلس الزراعي الاعلى ورئيس المجلس الاعلى لمحو الامية الاجباري ورئيس هيئات اخرى كثيرة الى جانب كل هذه المناصب، وكذلك من بين طابور طويل له الاهمية نفسها من الالقاب الشرفية وأشكال المخاطبة هناك: الرئيس

القائد، القائد المناضل، حامل اللواء، فارس الامة العربية، بطل التحرير الوطني، الاب القائد، الفارس المغوار، القائد الضرورة^(٦٣).

وقد استمرت عبادة شخصية صدام طوال فترة الحرب وبشكل غير منقوص، وقد نص تقرير المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث الذي انعقد في حزيران ١٩٨٢ على ((ان صدام حسين رمز الحرية والاستقلال والفخر والوحدة والامل في مستقبل افضل للعراق وللشعب العربي.... وهذه الحقيقة تحثنا على الاستمرار في المسيرة خلف الراية التي يحملها بكل الحب الممكن ونكران الذات والشجاعة))، وبعد ذلك بسنة كتب احد الصحفيين تقريراً يقول فيه ((من النادر ان تسير في الشوارع هنا بدون ان تصادف صورة اكبر من الحجم الطبيعي لصدام حسين في الزي العسكري او بالزي المدني او بالملابس العربية التقليدية وحتى بالونات الاطفال كانت تحمل صورته))^(٦٤).

ب-الحزب

يعرف الحزب في الادبيات السياسية بأنه ((تنظيم سياسي يضم الفئات الانشط بين فئات الطبقة المعنية، ويعبر عن مصالحها واهدافها، ويقود نضالها في سبيل تحقيق هذه الاهداف وترسيخها، ويوجه نقد الى المجتمع البرجوازي الذي يحوي على تعدد الاحزاب الدالة على تعددية طبقاته.....، ولبناء الاشتراكية فعليه ان تقيم حزبها السياسي الذي يهدف الى المضي بالصراع الطبقي حت الاستيلاء على السلطة واقامة الدكتاتورية البروليتاريا))^(٦٥).

ان البنية الاحادية التي تتشكل منها الدولة التوتاليتارية ليست للمراقب امرا اكثر جلاء من غيره، فكل الذين عاجلوا المسألة بمجدية وعمق اجمعوا على أن مصدرين للسلطة يتعايشان في الدولة التوتاليتارية وهما الحزب والدولة^(٦٦). وتقول ارندت في هذا السياق: ((ان هدف الانظمة ذات الحزب الاوحد لا يقتصر على الاستيلاء على السلطة فحسب بل يتعداه الى استكمال التمثيل التام ما بين الدولة والحزب، وذلك بتعيين اعضاء من الحزب في كل مراكز الدولة، بحيث يصير الحزب بعد تولي السلطة نوعاً من هيئة تهتم بأطلاق الدعاية لصالح الحكم، وان هذا النسق من الحكم لا يكون كلياً الا بالمعنى السلبي اذ لا يسع الحزب الحاكم ان يتسامح ازاء وجود اي حزب اخر واية معارضة واية حركة للرأي العام))^(٦٧).

ولقد تطور حزب البعث الى حركة شعبية بعد ان اصبحت عضويته هي الالية الرئيسة التي يمكن للأفراد من خلالها ارتقاء درجات السلم الاجتماعي والانتفاع من بنية الرعاية الضخمة التي تتحكم في الدولة وتحولها ايرادات العراق الضخمة من النفط وبصرف النظر عن العدد الصحيح فقد بات من الواضح ان البعثية تحولت الى حركة سياسية شعبية كما لم توجد اي معارضة سياسية ذات مغزى فيما عدا ما كان موجودا في الجبال الكردية او ضمن الشيعة في الجنوب حيث كان الطرفان معارضين للفكر القومي العربي النابع من العراق البعثي ومهيئين بشكل متزايد للدفاع عن رؤيتهما الخاصتين بشأن القومية العراقية واللتين كانتا تتعارضان تعارضا واضحا مع رؤية حزب البعث^(٦٨).

و((لم يكن من سياسة البعث العراقي البحث عن استلام السلطة من خلال الانتخابات او الاعلان عن برامج انتخابية بل على العكس فقد اعتمد البعث على القوة والانقلاب العسكري مستخدما بنيته التنظيمية الهشة جماهيريا ومعتمدا على منظماته التأميرية المنظمة جيدا لأجل الاستيلاء على السلطة في الحقيقة فان تلك المنظمات تشكلت بشكل رئيس من عصابات القتل والشقاوات وقطاع الطرق والذين كانت روابطهم تعتمد على المحلة والمناطقية وكذلك على روابط شخصية اكثر مما هي عقائدية لذا كان لتشديد القبضة على الحزب بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم تأثير قليل على قدرته الاساسية في استلام السلطة لان استلام السلطة اعتمد على مهارات في تنظيم زمر صغيرة بشكل جيد ومركز بدلا من الجزء الثابر الجاد والعميق لبناء قاعدة قوية من الجماهير المؤيدة اذا اخذنا بنظر الاعتبار طبيعة فعاليات البعث في العراق وكذلك لا عقلانية وغموض عقيدته يتضح جليا بان الحزب استلم السلطة في عام ١٩٦٣ بدون برنامج محدد خارجا عن نطاق تكريس نفسه في السلطة على حساب خصومه الاساسيين))^(٦٩)، حتى أن اغلب اعضاء قيادة حزب البعث لم يكونوا معروفين بشكل واسع في البلاد عندما استلم الحزب السلطة في تموز ١٩٦٨ ماعدا البكر الذي كان من الضباط الاحرار في ١٩٥٨ ورئيسا للوزراء ما بين شباط وتشيرين الثاني ١٩٦٣، وقد كان لصدام حسين الذي كان عمره ٣١ سنة ذو السمعة السيئة لاشتراكه في محاولة اغتيال قاسم ١٩٥٩ ولم يكن لديه اي امتياز اخر يدعيه على الاقل خارج صفوف الحزب^(٧٠) ان

التبعيث المنظم لالة الدولة وبوسائل الاكراه وفي كل مناحي الحياة من تهيمش او حظر عمل القوى السياسية قد ترافقا مع معركة معقدة من اجل السلطة والمواقع في قيادة البعث نفسه، وقد انعكس الترابط المتين بين التبعيث وبين تثبيت ركائز حكم صدام الشخصي في امتصاص القيادة القطرية ضمن مجلس قيادة الثورة في ايلول ١٩٧٧ والتي كانت الدلالة على ان حزب البعث لم يعد هيئة مستقلة^(٧١).

وفي السنة ذاتها اصبح جميع اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث اعضاء في مجلس قيادة الثورة والذي عنى ان الحزب والدولة اصبحا اخيرا بحالة لا يمكن التفريق بينهما وبذا لم يعيد الحزب ان كان كذلك فعلا يوما ما هبة او مؤسسة تجري فيها مناقشة السياسات والتصويت عليها واصبح ببساطة وسيلة اضافية لتكريس سلطة الدولة واكثر دقة سلطة صدام^(٧٢).

ج - الايديولوجيا /

الايديولوجية مجموعة اعتقادات تختص بمجتمع معين او بطبقة معينة، وتعتبر الايديولوجيا عن نفسها من خلال عقيدة سياسية او اجتماعية تستند اليها في اعمالها حكومة معينة او حزب سياسي او طبقة اجتماعية الخ^(٧٣). ولكن مع الايديولوجيا البعثية لا يمكن تخصيص ذلك الا بصعوبة لطبقة اجتماعية موجودة بالفعل وذلك في غياب مجتمع عربي واحد، ان هذه الايديولوجيا هي فبركة ضيقة الافق للعالم من الاساطير الاجتماعية، وتلك الاساطير منتقاة من التاريخ العربي والاسلامي ومنظمة فكريا بمساعدة عدد من المفاهيم المستعارة من اليسار فالوحدة العربية والحرية والاشتراكية العربية والنضال ضد الامبريالية والصهيونية كلها بعض الكلمات الاساسية الجاذبة في تلك الاساطير^(٧٤)، وما يميز الدكتاتور التوتاليتاري بالدرجة الاولى الذي يختار خير العناصر الايدولوجية التي يجدر بها ان تكون اسس عالم اخر متخيل برمته^(٧٥).

وبالعودة الى ايدولوجيا مؤسس البعث عفلق فإنه يصر على ان الوحدة والحرية والاشتراكية هي الاهداف التي وضعها امام اتباعه ليست من صنع ذهنه بل تنبع من روح العرب واعماقهم وهي لا تعبر عن مصالح الامة فحسب بل ايضا عن الحقيقة التي تمتلكها، والتي سوف تعلن عن نفسها مهما كانت قوة الشروط القائمة والاهداف الثلاثة

يتطلب بعضها بعضا وتتكامل في ما بينها، وهي عبارة عن كل لا يتجزأ ولا يمكن تحقيق اي منها على حساب الاخرين^(٧٦).

ان الايديولوجيات جميعها ما برحت تتضمن عناصر توتاليتارية دفعت بها الى التنامي بصورة كاملة، وان الطبيعة الواقعية التي تتسم بها كل الايديولوجيات هي التي انبرت وحدها في الدور الذي ادته الايديولوجية داخل جهاز السيطرة التوتاليتارية^(٧٧). و مما تقدم يتضح وجود ثلاثة عناصر توتاليتارية متمثلة في الايديولوجية:-

١- تدعي الايديولوجيات قدرتها على تفسير كل شيء فهي تنحو الى عدم ابراز ما هو قائم، و ما هو قيد الظهور والافول، اذ تفسر الماضي تفسيراً كلياً وتعرف الحاضر معرفة كلية وتتنبأ بالمستقبل على نحو معين^(٧٨).

٢- لا يكتفي الفكر الايديولوجي بمعرفة الامور الظاهرة للحواس الخمس بل يؤكد وجود واقع اكثر حقيقة كامن خلف الامور المحسوسة يمكن معرفته من خلال الحاسة السادسة، وهذا الحس السادس من شأن الايديولوجيا ان توفره لنا من خلال التلقين^(٧٩)، فالجمع بين الاساطير ومفاهيم تنظيمية مثل الامبريالية تعمل كلها كمصفاة بالنسبة للخارج، بمثل ما توفر النموذج ليس عليه المجتمع العربي، او لما يتحول اليه واقعيًا، بل يفرض عليه ان يصبح في المستقبل، والامر المهم في هذا الانتاج الايديولوجي ليس الافكار في حد ذاتها ولا في تطابقها مع الواقع الاجتماعي بل في المبادرة المأخوذة لتحويل تلك الافكار الى الواقع، اذ تصور الاسطورة على انها بداية جديدة اكثر مما تصور على انها مجموعة من الاكاذيب عن الحاضر والماضي، ومن هذا المنطلق فأن البعث ابعد من أن يحاول التأكيد على انه علمي او موضوعي كما فعلت الستالينية يوما ما فالبعث يحب الفبركة^(٨٠).

٣- ان الايديولوجيات عاجزة عن تحويل الواقع و لذلك لجأت الى مناهج اخرى مطلقة من افكار اولية لاستنتاج اخرى^(٨١).

د- الامن

ان التوتاليتارية اكتشفت بفضل ايديولوجيتها الفريدة وبفضل دورها المعطى لها في جهاز الضغط وسيلة للسيطرة على الكائنات البشرية واربابها من الداخل وبهذا المعنى فأن الوسيلة الانفة تلغي المسافة بين الحاكمين والمحكومين وتحقق منظومة لا تؤدي فيها

القدرة و ارادة القدرة كما نعيها اي دور او تؤدي فيها دورا ثانويا ليس الا ، فالفائد التوتاليتاري ما هو الا موظف الجماهير يقودها وهو ليس فردا متعطشا للسلطة وبالتالي لا يفرض على رعيته ارادة استبدادية واعتباطية، وبات رهن ارادة الجماهير التي تجسده مثلما ماهي رهن له^(٨٢).

وتشكل الشرطة السرية نواة السلطة التوتاليتارية^(٨٣)، فالدولة التوتاليتارية تشبه مجتمعا سريا في وضوح النهار كما تشير الى ذلك ارندت وتستخدم اجهزة الدولة والبوليس السري في عملياتها الاعتيادية وهي لا تتأسس على شيء سوى الاسطورة التي تنتجها وتونه عن نفسها، والدولة الشمولية قائمة بشكل اساسي على الدعاية والاعلام وهي مغلقة تماما تجاه الواقع المادي^(٨٤). وفي العراق في اوائل ١٩٧٦ كانت هناك اربع مؤسسات امنية تراقب الواحدة الاخرى، جمعت عملية تسريع البعث على مؤسسات الدولة، وفضلا عن الحرس الجمهوري كانت هناك القوات الخاصة والجيش الشعبي وهناك دليل اضافي على اهتمام القيادة بالمحافظة على نفسها وهو استخدام وزارة الداخلية^(٨٥).

لم يحدث ابدا لحكومة ان وطدت سلطتها على اساس ادوات العنف وحدها ان وجدت فحتى الحاكم التوتاليتاري الذي يعتمد على ممارسة التعذيب كوسيلة اساسية للحكم يحتاج الى اسس للسلطة البوليس السري وشبكة المخبزين الملحقين به^(٨٦). ومع وجود صدام على رأس نظام الرعاية يديره حزب البعث بفاعلية لم يكن هناك حافز امام الافراد للاشتراك في مجموعات سياسية تتحدى الوضع القائم ولم يكن نظام الرعاية سوى احد الاساليب التي لجأت اليها الدولة للحد من المعارضة السياسية اذ ظل صدام متحمسا للمظاهر الاكثر عنفا لسيطرة الدولة من خلال اقامة شبكة معقدة من المؤسسات الامنية والاستخبارية وتألف النظام الامني العراقي من خمسة اجهزة رئيسية، وقد ارسى هذه المؤسسات شبكة رقابية صارمة من الشك والخوف والكبت تخللت اوجه الحياة كافة في العراق ولم تدع هذه البيئة مجالا لقيام الحد الأدنى من مؤسسات الهيئة اللازمة لقيام ديمقراطية تمثيلية وكما اشار كنعان مكية يائسا فإنه في بيئة كهذه لا يمكن للمعارضة ان تظهر سوى في اذهان الناس وهي لا تصبح عندئذ معارضة على الاطلاق^(٨٧).

هـ-الاقتصاد

ان هذا المرتكز يوضح كيف تفاعلت العوامل الاقتصادية والسياسية السائدة التي سيطرت على مصادر الثروة التي اسهمت في تثبيت النظام السياسي انها فترة (البعث) التي تعرض فيها شعب سيء الحظ الى طغيان نظامه وكيف ادى ذلك الطغيان الى تعطيل الحياة وتجريدها من اي معنى .

فبدلا من ان تسهم التنمية الاقتصادية في تطوير المثل والهياكل الديمقراطية وترسيخها كما تشير اليه الادبيات الاولى بشأن الحداثة يلاحظ ان العكس هو ما حدث في العراق حيث ادى الكسب الريعي الذي يتمثل في اعتماد الدولة المفرط على العائدات من مصدر معين بما يتيح لها تقليص الحاجة الى الاعتماد على المجتمع عموما وفي الوقت ذاته زيادة اعتماد المجتمع على الدولة^(٨٨)، اذ يرى الدكتاتور التوتاليتاري شانه شأن الفاتح الاجنبي الى مصادر الثروات الطبيعية والصناعية في كل بلد كما في بلاده باعتباره مصدر نهب دائما ووسيلة لأعداد المرحلة الالية من التوسع العدواني ولما كانت هذه السياسة الاقتصادية القائمة على الاغتصاب المنظم قد تابعتها الحكم التوتاليتاري لصالح الحركة وليس لصالح الشعب ولا الأمة ولا اراضي الوطن وبدت هذه الاخيرة عاجزة عن وضع حد الاشباع لمسار النهب المذكور^(٨٩)، وهذا ادى الى ترسيخ الدولة التوتاليتارية في العراق، والى تزويدها بالموارد اللازمة كي تتحول الى الدولة التوتاليتارية التي ترأسها صدام، من هنا فأن تأثير الاقتصاد الريعي يمثل المحور الخامس من محاور فهم صعود الشمولية^(٩٠).

وينطلق الاستيلاء على الثروة في الدولة التوتاليتارية من مسلمة ايديولوجية عن دورها في قيادة المجتمع بمعنى انها تنفي فكرة الادارة من هنا اهمية استحواذها على الثروة وترتبط هذه النتيجة ارتباطا عضويا بالأيديولوجية التوتاليتارية ان التحكم بالثروة ومصادرتها بأسم المجتمع وتركيزها بيد السلطة هي احدى العقائد الجوهرية للفكرة التوتاليتارية^(٩١).

واذا كانت الصفة المميزة للدولة التوتاليتارية البعثية الصدامية تقوم في الهيمنة على النفط فلأن الثروة الكبرى القادرة على التوظيف السياسي السريع كما أنها الثروة التي

جعلت من طابعها الذاتي عين الطابع المميز للتوتاليتارية بمعنى تحول النفط بوصفه طاقة الى طاقة الدولة التوتاليتارية^(٩٢).

وفي اعقاب زيادة اسعار النفط بعد الحرب العربية الإسرائيلية وذلك عندما حلقت ايرادات النفط عاليا من ٥٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٢ الى ١٨٤٠ مليون دولار في عام ١٩٧٣ والى ٥٧٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٤ لقد مكن امتلاك مثل هذه الثروة العظيمة النظام من تمويل سلسلة من مشاريع التنمية عالية الكلفة والمظهرية بشكل متكلف وادخال برامج جديدة كبرى في حقول مثل التعليم والاسكان والصحة، كان المتحمسون للنظام ينسبون كل هذا التقدم الذي انجز واغلب الانجازات التي تحققت خلال السبعينات والثمانينات للنظام نفسه، لكن بما ان جميع الدول النفطية طبقت سياسات مماثلة في اوائل السبعينات لذا يبدو ان الادعاء بأن التقدم الذي حصل في العراق يعزى الى بعد نظر اولئك الذين كانوا في السلطة او الاكثر مبالغة انه كان يعزى الى كرمهم يبدو وكأنه اي- الادعاء- غير مثير للانتباه الا قليلا لقد ازدهر الاقتصاد الوطني بسبب الخزين الهائل من النفط وليس بسبب عبقرية حكام البلد او هبة منهم^(٩٣).

ان النظام اصبح مرتبطا بعلاقات مشتركة مع صدام حسين لذا فإنه ودائره المحيطة به قد سيطر على الاقتصاد ووجهه الى مدى اكبر جدا من اي نظام سبقه ووجد نفسه في موقع يوزع الاعانات والمقاولات كمقياس غير محدود تقريبا، كان المستفيدون المحليون هم رجال الاعمال والمضاربون والمتعهدون والمقاولون من كل صنف الذين اصبحوا يشكلون قاعدة اجتماعية واسعة للنظام وعلاوة على ذلك تضافرت برامج الرفاه الاجتماعي والدعم الحكومي للمواد الغذائية الاساسية والزيادات في الاجور والرواتب وفرص العمل الجديدة والمتزايدة ويقابلها التوسع العام في الفعاليات الاقتصادية في بلد لم يكن كثيف السكان ابدا ولم يكن بحاجة على الاقل في البداية لاستيراد ايد عاملة اجنبية كثيرة جدا ساعدت كل هذه العوامل اعلاه على احداث تحسينات سريعة ومنظورة في مستوى معيشة السكان ككل وهذا بدون شك شجع بدوره على القبول الواسع للنظام من قبل قطاعات عديدة من السكان في اوائل السبعينات^(٩٤).

((وقد كان تأثير هذا النظام الريعي الضخم على العراق مدمرا من حيث القدرة على تطوير المجتمع المدني او ارساء النظام الديمقراطي في الحكم))^(٩٥).

الخاتمة

- ١- ان انظمة الحكم وممارساتها تختلف باختلاف مسمياتها ومفاهيمها ومن تلك الانظمة، النظام الديمقراطي، الدكتاتوري، الشيوعي،.... الخ، وانظمتها متداولة جدا ومعروفة الى حد كبير، لكن هناك من الانظمة ما لم نتعرف على تسميته على الرغم من ادراكنا لممارساته، وان المفاهيم التي ذكرت لا تنطبق عليه، ومن تلك الانظمة هو النظام التوتاليتاري، اذ تم تداوله نتيجة ظهور احزاب وانظمة حكمتسلطية تختلف عن سابقتها من انظمة حكم امتازت بشتى انواع التسلط والاستبداد .
- ٢- لعل ابرز ما يميز خصائص التوتاليتارية فضلا عن الخصائص الخمس التي ذكرت في ثنايا البحث هي حاجتها الى اعداد كبيرة من الجماهير تعمل على مساندتها ومتأثرة بأيديولوجيتها، أو تابعة لها اذ انها تركز على الجمهور لأنها تتوسم بالديمقراطية، لكن في النتيجة هي ان ارادة القائد هي ارادة الشعب والمعبرة عنه، وفي التوتاليتارية لا توجد تعددية بل سيادة هوية واحدة للدولة ويجب على افراد الشعب اتباعها اي لوجود للهويات الفرعية، وربما تصل الى ان تكون الهوية الفرعية تهمة بالنسبة لأتباعها على المستوى القومي او العرقي او الديني .
- ٣- لا توجد هناك اية علاقة بين الفلسفة والتوتاليتارية وما هو موجود هو نتيجة لإضفاء بعض السياسيين الطابع الفلسفي على انظمتهم، او أن المهتمين بالشأن الفلسفي يقومون بعملية اسقاط التوتاليتارية على من لا يتفقون معه من فلسفة.
- ٤- تعد ارندت ابرز من درست التوتاليتارية في القرن العشرين، وذلك لمنهجيتها في الدراسة وان كثرت فيها التفصيلات التاريخية، لكن خصائص النظام التوتاليتاري ومركزاته وتطبيقاته على النازية والستالينية كانت واضحة لديها .
- ٥- تتفق ارندت مع مدرسة فرنكفورت بعدم القاء اللوم على الفلسفة الالمانية بوصفها منتجة للتوتاليتارية، لكنها تختلف عنهم بأنها قدمت نقداً للنازية التي رفضت التنوير .
- ٦- يحاول البعض من الباحثين ان يجعل من بداية النظام الجمهوري في العراق عام ١٩٥٨ هو بداية للتوتاليتارية لكن هذه الفترة يمكن اعتبارها تمهيدا لبداية الدكتاتورية وحتى لا يتم ظلم عبد الكريم قاسم لما له من تأييد عند البعض وما عمله للعراق وما عُرف عنه من عدالة فيمكن تصنيف فترة حكمه بالدكتاتورية العادلة .

٧- ومن خلال المرتکزات التي تتبین من دراسة ارندت يلاحظ انها تتطابق مع التوتالیتاریة العراقیة سواء القائد، الحزب، الايديولوجيا، فالقائد كانت عبادته راسخة لدى البعثيين والحزب وتنظيماته الجماهيرية كانت واسعة اما الايديولوجيا فأنها كانت مرتبطة بالجانب الاسطوري غير الواقعي .

٨- فضلا عن المرتکزات الثلاث ففي العراق يبرز مرتکزان اخران الا وهما المرتکز الامني فالعراق اشتهر بمؤسساته الامنية سيئة الصيت في فترة حكم صدام وهذا تشير اليه ارندت في دراستها للنازية والستالينية ودور الشرطة السرية فيها بل انها جعلت فصلا كاملا لدراسة ذلك وفي العراق ساهمت المؤسسات الامنية بترسيخ التوتالیتاریة، اما المرتکز الخامس وهو الاقتصاد او الدولة الريعانية فالثروة النفطية بدلا من ان تسهم في نهضة العراق اسهمت بترسيخ نظام البعث اذ ان اي عامل تنموي تقوم به الدولة نتيجة لارتفاع اسعار النفط وخصوصا في السبعينيات ينسبه البعثيون لأنفسهم، ويساعدهم بسطاء الناس في الدعاية لذلك .

ملخص البحث:-

يهدف هذا البحث الى دراسة مرتکزات التوتالیتاریة العراقیة م ن خلال توظيف رؤیة حنه ارندت، التي هي واحدة من ابرز من درس النظام التوتالیتاري، اذ ان ما جرى في العراق في زمن النظام البعثي وخصوصا فترة حكم صدام، قد جرى في بلدان اخرى ك المانيا من خلال دور النازية، والاتحاد السوفيتي ودور الستالينية، وهذه النظم درستها ارندت لكن هدف هذا البحث ليست المقاربة التي ربما تكون واضحة لأنهم ينتمون الى عائلة طاغية واحد، بل توظيف مرتکزات ارندت في فهم هذه النظم ومقاربتها مع العراق.

ومن خلال المرتکزات التي وضعها شابيرو بعد دراسته ل ارندت يلاحظ انها تتطابق مع التوتالیتاریة العراقیة سواء القائد، الحزب، الايديولوجيا، فالقائد - صدام - كانت عبادته راسخة لدى البعثيين والحزب وتنظيماته الجماهيرية كانت واسعة، اما الايديولوجيا فأنها كانت مرتبطة بالجانب الاسطوري غير الواقعي، وفصلا عن المرتکزات الثلاث ففي العراق يبرز مرتکزان اخران الا وهما المرتکز الامني فالعراق اشتهر بمؤسساته الامنية سيئة الصيت في فترة حكم صدام وهذا تشير اليه ارندت في

دراستها للنازية والستالينية ودور الشرطة السرية فيها بل انها جعلت فصلا كاملا لدراسة ذلك، وفي العراق ساهمت المؤسسات الامنية بترسيخ التوتاليتارية، اما المرتكز الخامس وهو الاقتصاد او الدولة الريعية فالثروة النفطية بدلا من ان تسهم في نهضة العراق اسهمت بترسيخ نظام البعث اذ ان اي عامل تنموي تقوم به الدولة نتيجة لارتفاع اسعار النفط وخصوصا في السبعينيات ينسبه البعثيون لأنفسهم، ويساعدتهم بسطاء الناس في الدعاية لذلك .

Abstract

This research aims to study the bases of totalitarianism Iraqi by employing the viewpoint of Hannah Arendt, which is one of the most exhibit produce for the totalitarianism regime study then what happened in Iraq during the Ba'th regime and especially the period of Saddam's rule, had been in other countries as Germany Nazi , and the Soviet Union and the role of Stalinism, These regimes studied by Arndt But the aim of this research is not the approach that might be clear because they belong to the family of one tyrant, but employing of Arndt bases in the understanding of these regimes and its approach with Iraq.

Through bases developed by Shapiro after studying Arendt notes that it corresponds to totalitarianism whether Iraqi leader, party, ideology, leader - Saddam - the firm was worship of the Ba'th Party and its mass organizations were wide, the ideology they were linked to the legendary ideas unrealistic. In addition, the three bases in Iraq highlight two other bases but are based security Iraq is known for its security institution notorious under Saddam and this is indicated by Arendt in her study of Nazism and Stalinism and the role of these cret police, but it has made a full chapter to the study. In Iraq, the security institutions contributed to consolidate totalitarianism, either Fifth base is the economy or the rentier state wealth oil rather than contribute to the renaissance of Iraq contributed to consolidating the Baath regime since any worker development by the state as a result of high oil prices, especially in the seventies he attributes Ba'th for themselves, and helps them simple people in the publicity for it.

هوامش البحث

١- ولدت حنه ارندت عام ١٩٠٦ في هانوفر احدى المدن الالمانية، وعندما بلغت سن السابعة توفي ابوها، ومن خلال امها اصبحت ارندت على اطلاع بالتطورات السياسية، تتلمذت فلسفياً

- على يد هايدغر(Heidegger) واشرف على اطروحتها المعنونه (الحب لدى القديس اوغسطين) كارل ياسبرز(Gaspers Karl) واكملتها عام ١٩٢٩، اشهر اعمالها المترجمة الى العربية:- اسس التوتاليتارية، في العنف، في الثورة، اما الشرط الانساني فهو غير مترجم، ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى مابعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط اولى، ٢٠٠٨، ص ٣٦٧-٣٦٩ .
- ٢- زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، (مادة التوتاليتارية وضاح نصر)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط اولى، ١٩٨٦، ص ٤٠٠ .
- ٣- الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ثانية، ١٩٩٠، ١٣٦ .
- ٤- ينظر: امام عبد الفتاح امام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٨٣، اذار ١٩٩٤، ص ٦٣ .
- ٥- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، (مادة التوتاليتارية وضاح نصر)، ص ٤٠٢ .
- ٦- ينظر: Ceyer, Michel & Filzpatrick, Shella, beyond totalitarianism, Campridge University press, 2009, p.3-4.
- ٧- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، (مادة التوتاليتارية وضاح نصر)، ص ٤٠٠ .
- ٨- ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٠١ .
- ٩- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، (مادة التوتاليتارية وضاح نصر)، ص ٤٠٠-٤٠١ .
- ١٠- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ترجمة انطوان ابو زيد، دار الساقى، بيروت، ط اولى، ١٩٩٣، ص ٥٥ .
- ١١- ينظر: الومان، سليفان، (التفكير في الشمولية/ فلسفة الشمولية عن كتاب اصول الشمولية، حنه ارندت)، تحرير جان فرانسوا دورتيي، ترجمة ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط اولى، ٢٠٠٩، ص ٢٤٥ .
- ١٢- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ٧٩ .
- ١٣- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧٠ .
- ١٤- ينظر: Scruton, Roger, A Dictionary of Political Thought, PanBooks, London, second edition, 1983, p.466.
- ١٥- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، (مادة التوتاليتارية لذكريا خضر، ص ٤٠٩) .

- ١٦- ينظر: Canovan, Margaret, Hannah Arendt A Reinterpretation of her political Thought, Cambridge University press, second edition, 1995, p.24.
- ١٧- ينظر: ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من التوتاليتارية الى مابعد الحداثة، ترجمة فائق البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط اولى، ٢٠٠٨، ص ٢٦٩ .
- ١٨- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة التوتاليتارية لخضر زكريا، ص ٤٠٩.
- ١٩- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة التوتاليتارية وضاح نصر، ص ٤٠٤.
- ٢٠- ينظر: الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج الخامس، ص ١٣٦ .
- ٢١- ينظر: ستانسفيلد، جارث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط اولى ٢٠٠٩، ص ٨٧ .
- ٢٢- ينظر: المصدر والصفحة نفسهما.
- ٢٣- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية (تشریح الظاهرة الصدامية)، حوار و تقديم يوسف محسن، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط اولى، ٢٠١٠، ص ١٥-١٦ .
- ٢٤- ينظر: ارندت، حنه، في العنف، ترجمة ابراهيم العريس، دار الساقى، بيروت، طاولى، ١٩٩٢، ص ٥٠.
- ٢٥- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة التوتاليتارية، وضاح نصر، ص ٤٠١.
- ٢٦- ينظر: اهرنبرج، جون، المجتمع المدني (التاريخ النقدي للفكرة)، ترجمة علي حاكم، حسن ناظم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط الاولى، ٢٠٠٨، ص ٣٤٦ .
- ٢٧- ينظر: Swift, Simon, Hannah Arendt , Routledge Taylor & Frands Group, London & New Yourk, first published, 2009, 89.
- ٢٨- ينظر: ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا، ص ٣٦٩ .
- ٢٩- ينظر: Canovan, Margaret, Hannah Arendt A Reinterpretation of her political Thought, p.17.
- ٣٠- ينظر: Ibid, p.18.
- ٣١- ينظر: Ibid, p.23.
- ٣٢- ينظر: ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا، ص ٢٧١.
- ٣٣- ينظر: Baehr, Peter, Hannah Arendt Totalitarianism and the social sciences, Stanford university press, Stanford, 2010, p.46.

٣٤- ينظر: Ibid, p.47.

٣٥- ينظر: ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا، ص٢٧١.

٣٦- ينظر: Baehr, Peter, Hannah Arendt Totalitarianism and the social sciences, p.47.

٣٧- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص١٢.

٣٨- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية، ص١٦.

٣٩- ينظر: المصدر نفسه، ص١٦.

٤٠- ينظر: Popper, K.R., The open Society And its Enemies, volume 1 (The spell of Plato), Routledge&KeganPaul, London, 119.

٤١- ينظر: Ibid, p.89.

٤٢- ينظر: توشار، جان، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٣.

٤٣- ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥.

٤٤- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية، ص١٦.

٤٥- زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة التوتاليتارية لخضر زكريا، ص٤٠٩.

٤٦- ينظر: المصدر نفسه، ص٤١٠.

٤٧- ينظر: المصدر نفسه، ص٤١٠.

٤٨- ينظر: علي، حسين، العلم والايديولوجيا بين الاطلاق والنسبية، التنوير، بيروت، ٢٠١١، ص٦٠.

٤٩- ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة التوتاليتارية لخضر زكريا، ص٤١٠.

٥٠- ينظر: Canovan, Margaret, Hannah Arendt A Reinerpretation of her political Thought, p.21.

٥١- ينظر: Ibid, p.21.

٥٢- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية، ص١٧.

٥٣- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص٨٣.

٥٤- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية ص١٣٥.

٥٥- المصدر نفسه، ص١٠٧.

٥٦- المصدر نفسه، ص١١٣.

٥٧- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص٨٦.

- ٥٨- ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٧ .
- ٥٩- ارندت، حنة، اسس التوتاليتارية، ص ١٠٩ .
- ٦٠- المصدر نفسه، ص ١٦٠ .
- ٦١- ينظر: ستانسفيلد، جاريت، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص ١٠٥ .
- ٦٢- ينظر: سلوغلت، ماريون فاروق، وسلوغلت، بيتز، من الثورة الى الدكتاتورية العراقية منذ ١٩٥٨، ترجمة مالك النبراسي، منشورات الجمل، ٢٠٠٣، ص ٢٤٦ .
- ٦٣- ينظر: مكية، كنعان، جمهورية الخوف، منشورات الجمل، بيروت، ط اولى، ٢٠٠٩، ص ١٨٥ .
- ٦٤- سلوغلت، ماريون فاروق، وسلوغلت، بيتز، من الثورة الى الدكتاتورية، ص ٢٤٣-٢٤٤
- ٦٥- نخبه من المؤلفين الروس، المعجم الفلسفي المختصر (روءية ماركسية)، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦، ص ١٩٣ .
- ٦٦- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ١٤٨ .
- ٦٧- المصدر نفسه، ص ١٧٩ .
- ٦٨- ينظر: ستانسفيلد، جاريت، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص ١٠٥ .
- ٦٩- سلوغلت، ماريون فاروق، سلوغلت، بيتز، من الثورة الى الدكتاتورية، ص ١٣٢-١٣٣
- ٧٠- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧٤ .
- ٧١- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧٦ .
- ٧٢- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٩-٢٤٠ .
- ٧٣- ينظر: ديديه، جوليا، قاموس الفلسفة، ترجمة فرنسوا ايوب واخرون، مكتبة انطوان، بيروت، ط اولى، ١٩٩٢، ص ٧٤ .
- ٧٤- ينظر: مكية، كنعان، جمهورية الخوف، ص ١٤٠ .
- ٧٥- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ١٠٥ .
- ٧٦- ينظر: بطاطو، حنا، العراق - الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، دار الحياة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٨ .
- ٧٧- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ٢٦٢ .
- ٧٨- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٣ .
- ٧٩- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٣ .
- ٨٠- ينظر: مكية، كنعان، جمهورية الخوف، ص ١٤١ .

- ٨١- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ٢٦٣.
- ٨٢- ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٧ .
- ٨٣- ينظر: الومان، سليفان، التفكير في الشمولية، ص ٢٤٦ .
- ٨٤- ينظر: ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا، ص ٢٧١ .
- ٨٥- ينظر: سلوغلت، ماريون فاروق، و سلوغت، بيتر من الثورة الى الدكتاتورية، ص ٢٤٦ .
- ٨٦- ينظر: ارندت، حنه، في العنف، ص ٤٤.
- ٨٧- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص ١٠٦ .
- ٨٨- ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٨ .
- ٨٩- ينظر: ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ص ١٧٥ .
- ٩٠- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص ٨٨ .
- ٩١- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية، ص ٦٠ .
- ٩٢- ينظر: الجنابي، ميثم، التوتاليتارية العراقية، ص ١٤٦ .
- ٩٣- ينظر: سلوغلت، ماريون فاروق، و سلوغت، بيتر، من الثورة الى الدكتاتورية، ص ٢٣١ .
- ٩٤- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣١-٢٣٢ .
- ٩٥- ستانسفيلد، جاريث، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ص ١٠٦ .

قائمة المصادر والمراجع

أ- الكتب العربية والمترجمة:-

- ١- امام عبد الفتاح امام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٨٣، اذار ١٩٩٤.
- ٢- ارندت، حنه، في العنف، ترجمة ابراهيم العريس، دار الساقى، بيروت، ط اولى، ١٩٩٢ .
- ٣- ارندت، حنه، اسس التوتاليتارية، ترجمة انطوان ابو زيد، دار الساقى، بيروت، ط اولى، ١٩٩٣ .
- ٤- اهرنبرج، جون، المجتمع المدني (التاريخ النقدي للفكرة)، ترجمة علي حاكم، حسن ناظم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط اولى، ٢٠٠٨ .
- ٥- بطاطو، حنا، العراق - الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، دار الحياة، القاهرة ٢٠١١ .
- ٦- توشار، جان، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية، بيروت، ١٩٨٧،

مرتكرات التوتاليتارية العراقية روءية حنه ارندت مدخلأ (٤٣٣)

٧-الجنابي، ميشم، التوتاليتارية العراقية (تشريح الظاهرة الصدامية)، حوار و تقديم يوسف محسن، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط اولى، ٢٠١٠ .

٨-ديديه، جوليا، قاموس الفلسفة، ترجمة فرنسوا ايوب واخرون، مكتبة انطوان، بيروت، ط اولى، ١٩٩٢ .

٩-زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط اولى، ١٩٨٦

١٠-ستانسفيلد، جاريت، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط اولى ٢٠٠٩ .

١١-سلوغلث، ماريون فاروق، سلوغلث، بيتر، من الثورة الى الدكتاتورية العراق منذ ١٩٥٨، ترجمة مالك النبراسي ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٣ .

١٢-علي، حسين، العلم والايديولوجيا بين الاطلاق والنسبية، التنوير، بيروت، ٢٠١١ .

١٣-الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ثانية، ١٩٩٠

١٤-ليشته، جون، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط اولى ، ٢٠٠٨ .

١٥-الومان، سليفان، (التفكير في الشمولية/ فلسفة الشمولية عن كتاب اصول الشمولية، حنا ارندت)، تحرير جان فرانسوا دورتيي، ترجمة ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط اولى، ٢٠٠٩ .

١٦-مكية، كنعان، جمهورية الخوف، منشورات الجمل، بيروت، ط اولى، ٢٠٠٩ .

١٧-نخبة من المؤلفين الروس، المعجم الفلسفي المختصر (رؤىة ماركسية)، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦ .

ب-الكتب الاجنبية

1. -Baehr, Peter, Hannah Arendt Totalitarianism and the social sciences, Stanford university press, Stanford, 2010,p.46.
2. -Canovan,Margaret, Hannah Arendt A Reinerpretation of her political Thought, Cambridge University press,second edition,1995,p.24.

3. -Ceyer,Michel&Filzptrick,Shella, beyond totalitarianism, Cambridge University press, 2009,p.3-4.
4. -Popper,K.R.,The open Society And its Enemies, volume 1(The spell of Plato), Routledge&KeganPaul, London,p.89.
5. -Scruton,Roger,A Dictionary of Political Thought ,Pan Books ,London ,second edition,1983,p.466.
6. -Swift,Simon,Hannah Arendt ,Routledge Taylor &Frands Group, London&NewYourk,first published,2009, 89.